

الفتاوى - العقيدة - الإيمان بالله - الفتوى ٠١٠ : لماذا على الإنسان أن يتبع الإسلام وليس غيره ؟
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-٠١-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال:

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من بنت الإسلام ذات ١٧ ربيعاً من بيت المقدس إلى شيخي الفاضل لتعلم يا شيخ أني لم أكن لأسمح لنفسي بأن أقتطع من دقائقك الغالية.. لولا أني في حاجة ماسة لعونك بعد الله ، فاحتملني يا شيخ.. وليكن عزاءك في ذلك أنك إن أعنتني بما تستطيع؛ كان الخير في الدنيا إن شاء الله حيث سأصلح وأصلح، وفي الآخرة الأجر العظيم والثواب الجزيل حيث أن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم. ثم إنك يا شيخ عودتني أن تعطيني من غير طلب مني.. وأنا الآن في حاجتك بعد الله في زمن عز فيه الرجال المخلصون والعلماء العاملون، فهلا تكرمت يا شيخي بأن تعيرني انتباهك جيداً.. لأنني لست متأكدة من أني سأوصل مرادي بوضوح، إذ إن سؤالي ليس عن حكم محدد، أسأل الله أن يفتح عليّ وعليك ويهدينا إلى صراطه المستقيم... الجزء الأول:

محدثك يا شيخ من قوافل العائدين إلى الله المستسلمين له بفضله وكرمه، كيف حدث ذلك.. أقصد كيف هداني الله إليه بالضبط لا أعرف، ولكن المهم أني الآن كلي قناعة بأنه لا ملجأ لي ولا مفر إلا إلى الله، وأن الإسلام هو الطريق الحق الذي عليّ أن أسلكه لأنجو في الدارين. ولكن مشكلتي بوجهها الأول هي أني لا أعرف لماذا؟؟ أي لماذا الإسلام والإيمان والالتزام هو الطريق الصحيح لا غيره؟؟ ولم يكن تساؤلي هذا لأن عندي ريبة من صحة هذا الطريق لا سمح الله.. أبداً فأنا أقر وأؤمن وأوقن أنه الطريق الحق، لكنني أريد معرفة أسباب أنه الطريق الصحيح أولاً لأثبت عليه في وجه أي معيق أو داع إلى طريق غيره، وثانياً حتى أعرف ما أقول عندما أدعو غيري لهذا الصراط المستقيم أو أذب أي شبهة أو تهمة باطله عنه، وثالثاً وهو الأهم حتى أثبت قناعاتي وإيماني بهذا الطريق.. لأن اتباعي لهذا الطريق لم يكن عن سعي إليه وبحث عنه حتى وجدته واتبعته.. إنما كان ذلك لأن الله هداني إليه كما أسلفت، أو لأنني ولدت لأبوين مسلمين أو لأنني لم أجد غيره من الطرائق، وأياً يكن فأنا لا أريد أن يكون اتباعي للإسلام إلا عن اقتناع تام بأنه السبيل الوحيد الذي لا حياد عنه لأنه ما من طريق صحيح إلا هو.. وذلك عبر الأدلة والحجج والبراهين التي لا تدع أي مجال لأدنى ريب.. وهكذا يكون سؤالي الأول: لماذا على الإنسان أن يتبع الإسلام وليس غيره؟ أود أن أعلم شيخي الفاضل أني أفهم أكثر إذا بسّطت لي الإجابة عن هذه المسألة على شكل حقائق

متتابة منطقيا، يعني مثلا تقول: "الله هو خالقنا.... لذلك هو أعلم بنا وبما يصلحنا.... لذلك علينا أن نتبع طريقه...الخ..."، مع التأكيد يا شيخي على تبرير كل الحقائق التي تحدثني عنها بأمور تتفق عليها عقول جميع البشر وليس المسلمين فقط، أقصد يا شيخي أن تعتبر أنك تخاطب شخصا من غير المسلمين (ألف الحمد لله على الإسلام) ولكن ذلك يقنعني أكثر حيث تحدثني من غير اعتبار الثوابت التي نؤمن بها كمسلمين مثل أن الله خالقنا، وأن الإسلام هو دين الله..الخ..، فأنا أبغي أصلا معرفة أدلة هذه الثوابت، أبدأ معي من الأصول والأساسيات بوصفي إنسانة فحسب، وتريد أنت أن تقنعها بدينك الإسلام، يعني مثلا في المثال الأنف الذكر لا تقل: "الله خالقنا" وتصمت، بل قل "الله خالقنا لأن واحد اثنان ثلاثة من الأدلة والحجج التي تقنع كل الناس وتقطع الطريق على أي مجادل". حتى تبلغني حاجتي يا شيخي جزاك الله عني كل خير. أما الوجه الثاني لمشكلتي فهو يا شيخي الكريم: أنه كنتيجة منطقية لقناعتي التامة بأن الإسلام هو الصراط المستقيم الذي عليّ أن ألزمه. فإني أتوق لمعرفة كنه هذا الصراط.. معالمه.. أساسياته.. أي مصطلح يعبر عن شكل هذا المنهج الرباني، حتى أتحرره وأتبعه وأطبقه كما هو وكما أراد الله مُشرّعه. أي وباختصار أنا أريد وصفا.. أو شرحا.. أو توضيحا.. أو رؤية عامة.. سمها كما شئت لهذا الطريق الذي اقتنعت به وقررت ولوجه، وسأضرب لك مثلا لتوضيح مرادي: الآن لو أراد صاحب مشروع أن يشرك معه شخصا في مشروعه.. ماذا يفعل لجعله يوافق؟ أولا يحدثه عن جدوى هذا المشروع (كما ستفعل أنت معي عندما تجيبني عن سؤالي الأول)، فإذا اقتنع؛ ماذا سيفعل صاحب المشروع؟ هل يقول لذاك الشخص هيا فلنبدا بالتنفيذ عليك أن تقوم بواحد اثنان ثلاثة؟ أم أن عليه قبل هذه الخطوة أن يطلعه على مخطط أو تقرير مفصل أو دراسة للمشروع؟ بحيث يرى هذا الشخص المشروع رؤية عامة تعينه على فهم شامل وتعرف أكثر على كنه هذا المشروع.. ومن غيرها سيكون تائها لا يدري أين هو من هذا المشروع، وبماذا يبدأ، وما هي أمثل الطرق وأقصر السبل لتحقيق أهداف المشروع، وما هي الأمور التي ستعينه على أداء أفضل وعليه استغلالها، وما هي المعوقات، وكيف سيتغلب عليها، و..و..و.. أرجو يا شيخي أن تكون الصورة قد اتضحت الآن، نحن في هذه المرحلة بالضبط.. إذن أحتاج الآن لمخطط عام يقدم لي نظرة شاملة لمنهج الإسلام الحنيف.. حتى لا أبقى أسير مكبة على وجهي على غير هدى، إنما أريد أن أكون على علم وعلى هدى من طريقي، وأين أنا منه أصلا في هذه اللحظة. مثلا يتضمن هذا المخطط أهداف الإسلام (لأتحراها في كل خطوة ولا أغفل عنها في أي لحظة) ومراحل طريقه (كي أعرف ماذا ينتظرني وأكون مستعدة له) والمعينات (حتى أستغلها ولا أضيعها) والمعوقات (لأقي نفسي منها وأعالجها إن أصابتنني) وأمور أخرى أنت أعلم مني بها. وأخيرا إلى الوجه الثالث لمشكلتي.. وأظنك عرفت يا شيخي من مثل صاحب المشروع، أجل هو ذاك: ماذا يتعين علي أن أفعل الآن؟ بعد أن اقتنعت بهذا المنهج ثم اطلعت عليه بصورة عامة.. حان وقت التفاصيل، أعني أنني وصلت مرحلة الاستعداد لتلقي المنهج

حتى أطبقه.. أو دخلنا حيز التنفيذ بلغة أصحاب المشاريع، فهيا يا شيخ أمل علي ما أمرني به ربي.. لعلك تتساءل يا شيخ: "ما بال هذه المغفلة تسألني عما أمرها ربها وما يتطلبه إسلامها؟ ألا تعرف ما عليها من صلاة وصيام وحجاب و..و..و؟" والجواب بلى يا شيخ أنا أعلم هذه الأمور. ولكن ما أبغيه أشمل من هذه الأمور بكثير، الآن لو أنا صليت وصمت وتحجبت فقط لا غير.. هل أكون قد أديت حق الله علي؟ أو طبقت كل ما أمر الله به؟ طبعاً لا، فالإسلام منهج حياة يتدخل في كل شؤون الإنسان.. طيب كلام جميل، أنا أريد هذه الأمور جميعها التي تجعلني مسلمة حقاً في كل شيء، لا في الاسم أو الشكل فحسب، بل مسلمة قلباً وقالبا وتفكيراً وتأثيراً وكل شيء، وحتى أكون كذلك.. يجب أن تتوفر فيّ مقومات أو أساسيات أو شروط.. تؤهلني لأكون مؤمنة ومسلمة حقاً، وأنا أريد معرفة هذه الأمور بدقة لأطبقها. فمثلاً يا شيخ، لو كان هدف أحدهم أن يصبح معلماً للتجويد، فإن عليه أن يدرس ويتمرن على أمور محددة، وإذا أتقنها يكون قادراً على تحقيق هدفه، هذه الأمور محصورة ومحددة ونستطيع إحصاءها ورسم خطة للتدرب عليها. وهذه بالضبط هي مشكلتي.. أي أنني لا أستطيع إحصاء ما علي إتقانه لأصل لهدف الإسلام، فأنا أسمع محاضرة عن الحياء مثلاً أطبقه يومين وأفتر، ثم أسمع درسا عن الخشوع في الصلاة أطبقه يومين وأترك، ثم.... وهكذا، لا يوجد عندي خطة أو برنامج أو نظام أسير عليه وأحقق أهدافه أنا لا أطلب منك يا شيخ أن تقول لي: "عليك بالصلاة التي شروطها كذا وأركانها كذا وأوقاتها كذا وبالزكاة التي أنصبتها كذا ومصارفها كذا... الخ..."، لا، أنا لا أريد التفاصيل.. هذه أنا أتكفل بالبحث عنها، وبنفس الوقت أرجو رجاء حاراً ألا تجيبني بقولك: "أمرك ربك بعبادته" أو "يتطلب إسلامك أن ترضي الله ولا تسخطيه"، أبداً لا أريد هذا إنما إن أردت أن تجيبني هكذا ففي سؤالي الثاني وليس هنا، صحيح أنني لا أريد التفاصيل ولكنني أيضاً لا أفهم الإجمال بتاتا، أنا ما أرومه هو أمور محددة أطبقها فأحقق هدف الإسلام -الذي هو عبادة الله وإرضاءه-، يعني مثلاً عندما قال نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم حديث: "بني الإسلام على خمس:....." الحديث، لم يفصل ولكنه أيضاً لم يَجْمَل، استعمل معي هذا الأسلوب لو سمحت. لا بد أنك من خلال ما قرأت قد عرفت سيدي أنني ما أريده هو أن أسلم من جديد.. أجل فأنا لا أعجبني ولا أرضى بإسلام الهوية هذا الذي أنا عليه الآن، وكل هذا الكلام السابق كان حتى أحصل منك على طريقة أو منهج واضح ومحدد هو الذي أمرنا الله بتطبيقه، أعلم أن طلبي هذا غريب، وقد أكون أول سائلة له ولكن.. أنا لدي أسبابي التي جعلتني أسأل مثل هكذا سؤال: أنا يا شيخ على قدر من الالتزام بفضل الله، يعني مثلاً محدثتك محجبة، تصلي النوافل وبالليل، وتصوم النافلة أيضاً، متفوقة في دراستي بحمد الله، عازفة عن الأغاني والأفلام وكل هذه السخافات، وقد أفاجأك إذا أخبرتك أنني حافظة لكتاب الله عز وجل بمن الله وكرمه.. ولكن مع ذلك أشعر أنني تائهة ولم ألج صراط الله المستقيم بعد.. تقول كيف ذلك؟ وأنا أجيبك وأسأل الله أن أفلح وتفلح: لا أدري إن كان هذا العيب في شخصيتي أم ماذا، ولكنني على كل حال لا أفهم يا شيخ أي

نظام إذا بدأت من جزئياته، يعني حتى لو طبقت بعض جزئيات (فروع) الإسلام مثل الذي ذكرت لك الآن؛ فإنني لا أشعر أنني أدبت حق ربي وديني علي كما يجب، لأنني أحس أنه ما زال هناك أمور ناقصة لم أؤدها بعد، (فمثلا أنا لا أتقن الإخلاص الذي هو أساس قبول العمل عند الله، ولا تنعكس قناعاتي على سلوكي بمعنى أنني أقول ما لا أفعل، [فمثلا أنا أعرف أن الملتزم عليه أن يحسن إلى الآخرين من غير الملتزمين تماما حتى لو أساءوا هم إليه حتى يحببهم في الدين.. ولكني لا أطبق هذا، أعرف أن الله أعلم بما هو خير لنا ويسوقه إلينا حتى لو لم ندرك ذلك، ولكني سرعان ما أجزع إذا حلت مصيبة بالمسلمين وحتى لو تماكنت نفسي وبدأت أدعو ربي فإن ذلك يكون من غير تركيز أو يقين من الإجابة) وهذا الشعور الصعب (أي عدم الثقة بإتمام تطبيق الاسلام) يقودني إلى ما هو أصعب وهو وضعي الآن: فلا تسل عن حالي لا أركز في شيء بتاتا، لا صلاة بخشوع، لا صيام أعطيه حقه، لا قرآن عدت أستذكره جيدا، حتى دراستي بدأت أتراجع فيها في الوقت الذي علي أن أتميز لأعز ديني بعد أن أعزني الله به طويلا (أنا في الثانوية العامة).. وكل هذا سببه أنني أشعر أن حياتي بغير نظام ولا هدف محدد ولا منهج أو طريقة واضحة أسير عليها.. لذلك كانت هذه الرسالة حتى تدلني يا شخي على أساسيات وأصول هذا الدين فأتدرب عليها وأحققها في نفسي حتى أهدأ وأكون مطمئنة أنني أدبت ما علي. وجزاك الله عني كل خير وجزاكم الله عنا كل خير

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم ، نفيديكم بما يلي:

أعتذر بداية عن كون الإجابة مختصرة عن سؤال كان طويلا جدا...وأستطيع أن أشخص حالتك بأنك تستجيبين لنداء عقلك أكثر من نداء فطرتك...! ولعلك تعرفين أو لا تعرفين أنك تدخلين في متاهات فلسفية تحليلها محل ثوابت الوحيين...! وقد اشتد عجبني حينما قرأت أنك تحفظين القرآن ، لكنك لم تعززي الحفظ بالفهم والتدبر...! وكان الصحابة الكرام ومن تبعهم من سلف الأمة يفهمون الحفظ بأنه الفهم والتطبيق...لذلك نعجب حينما نعلم أن ابن عمر رضي الله عنهما حفظ البقرة في ثماني سنين وأطفالنا اليوم يحفظونها في أسبوع...لكن العجب يزول إن علمنا أن حفظ ابن عمر للبقرة كان فهمها والعمل بكل ما جاء فيها...فهلا بدأت تجربة جديدة في حياتك تستلهمينها من ابن عمر...؟ إنك تخطئين بين الانتفاع بالشيء ، ومعرفة ماهية الشيء ، والمعرفة بالماهية ليست أصلا للانتفاع...أوضح بمثال: إن من الناس من ينتفع بالساعة ، والمكيف ، والكمبيوتر ، والسيارة أكبر انتفاع وهو يجهل أشد الجهل الأسس الفنية التي تعمل بها تلك الأجهزة...فهو يعيق ذلك عملية

الانتفاع...؟ بعد هذا ألا تقبلين اختيار الله لك الإسلام دينا (ورضيت لكم الإسلام دينا)، فتقتنعين أن لا طريق سواه دون أن تسألي لماذا...؟ أخشى أن تكون لك مطالعات مشككة ، أو صحبة غير راشدة تضخ إلى عقلك تلك الأفكار...إرجعي إلى إسلامك وقرآنك وهدى نبيك وستجدين الهداية والسكينة والفلاح ، ولاتنسي تجربة ابن عمر. والله يتولاك.

والحمد لله رب العالمين